هذا
كتاب
الاضواء البهجه *
فى ابراز دقائق المنفرجه *
للامام العلامه * الحبر البحر
الفهامه * شيخ الاسلام زكريا
الانصارى تغمد الله تعالى
برحمته ورضوانه ونفعنا
به وبعلومه آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

قال سيدنا ومولانا الشيخ الامام * والحبر البحر الهمام * العلم
العامل * والاوحد الفاضل * شيخ الطريقة * ومجدد الفضل
والحقيقة * وحيد دهره * وفريد عصره * ناصر السنة * واضح المحجة *
ذو الفنون العديمة * والمؤلفات الحميدة * والفتاوى المفيدة * شيخ
مشايخ الاسلام والمسلمين * وعمدة المفتيين * ومقصد الراغبين *
وبقية المجتهدين * وصدر المدرسين * ومفيد الطالبين * وتحفة
الناظرين * ومفتي المسلمين * ومربي السالكين * وقدوة العارفين *
وقامع المبتدعين * وحافظ سنة سيد المرسلين * ابو يحيى زكريا
الانصاري الشافعي * تغمده الله برحمته * واسكنه فسيح جنته *
ونفعنا والمسلمين ببركته * (بسم الله الرحمن الرحيم) *
الحمد لله المفرج للكرب عقب الشدة * المنجي لخلص عباده من غياهب الظلمة *
والصلاة والسلام على سيد الانام * وعلى آله وصحبه الغر الكرام *
(وبعد) فهذا ما اشتدت اليه حاجة المتفهمين للمنفرجة
تصنيف الامام العلامة الحبر البحر الفهامة العارف بالله تعالى الرباني
ابي الفضل يوسف بن محمد بن يوسف التوزري الاصل المعروف
بابن النحوي على ما قاله العلامة ابو العباس احمد بن ابي زيد الكاتبي
تلامذتها او ابي عبد الله محمد بن احمد بن ابراهيم الاندلسي القرشي

على ما قاله العلامة تاج الدين السبكي في طبقاته مع نقله
الاول عن شارحها المذكور عن ابي عبد الله محمد بن علي التوزري
المعروف بابن المصري نفعنا الله ببركاتهما من شرح يحل
الفاظها ويبين مرادها ويكشف لطلابها نقابها على وجه لطيف
ومنهج منيف لخصته من الشرح المشار اليه وغيره مع تبديل
وتغيير لما يحتاج الى تحرير والله اسال ان ينفع به وان يجعله
خالصا لوجهه * (وسميته) * بالاضواء البهجة * في ابراز
دقائق المنفرجة * وهي من البحر السادس عشر المسمى بالخبب الذي تركه
الخليل وغيره واثبته الاخفش وغيره وتفعيله فاعلن ثمان مرات
وسمي بالخبب لقصر اخر آئه ولان تقطيع ابياته يحاكي في السمع
ركض الخيل وخببها وزحافه الخبن وهو حذف الثاني الساكن
واذا سكنت عينه فقيل بالاضمار بعد الخبن وقيل بالقطع
وقيل بالتشعيث على ما هو مبين مع الصحيح منها في محله وهذه
القصيدة سماها الشيخ تاج الدين السبكي بالفرج بعد الشدة
قال وهي مجربة لكشف الكروب وان كثيرا من الناس يعتقدون
انها مشتملة على الاسم الاعظم وان ما دعي بها احد الا استجيب
له قال وكنت اسمع الشيخ الامام الوالد اذا اصابه ازمة يرشد بها
والظاهر ان ناظمها ابتدأها لفظا او خطا ببسم الله الرحمن الرحيم او بالحمد لله
كل امر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم وفي رواية بالحمد لله
فهو اجذم اي مقطوع البركة * ثم قال مخاطبا لما لا يعقل
بعد تنزيله منزلة من يعقل كقوله تعالى يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي

لخبن
٥

(اشتدي) يا (ازمة) اى شدة وهي ما يصيب الانسان من الامور
المقلقة من الامراض وغيرها (تنفرجي) بالجزم جوابا للامر اى تذهبي
بمعنى يذهب همك عنا (قد آذن) بالمد وفتح المعجمة اى اعلم (ليلك
بالبلج) وهو استعارة للفرج لاشتراكهما في الاذهاب والتحصيل
لان الضياء يذهب الظلمة والفرج يذهب الحزن ويحصل بكل
منهما السرور وخص الليل بالذكر لاشتداد الكرب فيه واستغاثة
للضياء وهو كناية عن الكرب لانه لازم له كقوله تعالى ولمن خاف مقام
ربه جنتان اى خاف ربه وعلم انه ليس المراد حقيقة اذن الشدة
بالاشتداد ولا ندائها بل المراد طلب الفرج لنزول الشدة لكن
لما ثبت بالادلة ان اشتداد الشدة سبب الفرج كقوله تعالى ان
مع العسر يسرا وقوله وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وقوله
صلى الله عليه وسلم وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا امرها ونادا
اقامة للسبب مقام المسبب وفيه تسلية وتأنيس بان الشدة
نوع من النعمة لما يترتب عليها وقد للتحقيق والتقريب لانه طلب
من الشدة انفراجها باذن الله تعالى وعلل طلب انفراجها بمضمون
الجملة المذكورة فكانه قال انما طلبت منك ذلك لتحقق حصوله
وقربه عند اشتدادك واسناد الاعلام الى الليل مجاز عقلي كما في
انبت الربيع البقل وليله قائم وفي البيت من انواع البديع براعة
المطلع وهي سهولة اللفظ وحسن السبك ووضوح المعنى
وتناسب المصراعين وعدم تعلق البيت بما بعده وبراعة الاستهلال
وهي ان يكون المطلع دالا على ما بنيت عليه القصيدة ونحوها

براعة المطلع ٥

كما بنى قصيدته على بيان سلوك الآخر بتصفية القلب
ورياضة النفس اذ مضمون البيت ان الشدة يعقبها الفرج
فقد انبأ عما قصده لان سلوك طريق الآخر فيه على النفس
اعظم مشقة يعقبها اتم فرج والاقتباس وهو ان يضمن
الكلام شيئا من القرآن او الحديث خاصة ولا ينبه على انه منه
وهو هنا في المصراع الاول فقد روى انه من الحديث والطباق
في المصراعين وهو ان يجمع بين امرين متقابلين كما جمع بين
الاشتداد والانفراج وبين الليل والنهار وعطف على الجملة
السابقة قوله (وظلام الليل له سرج) وهي الكواكب غير الشمس
يمتد نورها (حتى يغشاه ابو السرج) وهو الشمس وجعلت اباها
لانها الاصل اذ بنورها يذهب نور تلك ولان نور القمر الذي
هو اقوى من نور بقية الكواكب الليلية مستفاد من نورها على
ما قاله اهل الهيئة والمراد ان الكروب الشديدة لا بد في
اثنائها من الطاف يخف معها الالم حتى يتفضل الله تعالى
بالفرج التام الذي لا الم معه ولا كرب كالليل المظلم جعل الله
فيه الكواكب يقل بها ظلامه ويخف بها قبضه حتى يدخل النهار
فيذهب به ظلامه كله وتنبسط النفس بضوئه وفي البيت
الجناس التام وهو ان يتفق اللفظان في انواع الحرف واعدادها
وهيئاتها وترتيبها ورد العجز على الصدر وهو اعادة اللفظة
بعينها اوما تصرف منها في آخر المصراع الثاني بعد ذكرها في
صدره او في حشوه او في الاول كما في سرج مع السرج وعطف

الاقتباس ٥
الطباق ٥
الجناس التام ٥
رد العجز على الصدر ٥

على الجملة السابقة ايضا قوله (وسحاب الخير) وهو النعيم (لها)
وفي نسخة له (مطر * فاذا جاء الابان) وهو بكسر الهمزة وتشديد
الموحدة الوقت والمراد وقت السحاب (نجى) بالقصر للوقف اى السحاب
لما سلى ذوى الشدائد ورجاهم بانها وان عظمت فهى اثناؤها الطاف
تمتد الى الفرج التام اشار الى الحث على التزام الصبر فى ازمنة
تلك الشدائد لانها لا تنقضى الا بانقضاء زمانها ولا يأتى الفرج
الا فى زمانه المقدر له كالسحاب التى يكون عنها الخصب بنزول المطر
لها وقت مقدر لا تتقدم عليه ولا تتأخر فالعاقل لا يسعه الا الصبر
والتسليم لله تعالى وحسن الظن به ولا ينفعه الجزع لانه محنة للقلب
بلا فائدة وفيه سخط الرب ولعل الفوائد فى الشدائد قال تعالى وعسى
ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وقال
فعسى ان تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وقريب من هذا
قول الشافعى رضى الله عنه (ولربما ضاقت بنا حادثة تضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج)
(ضاق فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكنا نظنها لا تفرج) وقول غيره
(توقع صنع ربك سوف يأتى * بما تهوى من فرج قريب) (ولا تيأس اذا ما نابك خطب * فكم فى الغيب من عجب عجيب)
وفى البيت رد العجز على الصدر وهو فى جاء وبجئ وعطف على الجملة ايضا
قوله (وفوائد مولانا) اى ناصرنا تعالى وهى جمع فائدة وهى ما حصل من
الاشياء النافعة فى الدين والدنيا يقال منه فادت لك فائدة
اى تنك (جمل) اى كثيرة من انواع لا تحصى قال تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها (لسرعة الانفس والمهج) بالتاء ولها لهما ملين
من سرحت الدابة سرحا بالغداة مهد الرواح بالعشى اى لسروح

الانفس والارواح لطلب منفعة معاش او معاد والاضافة فيه
من اضافة الصفة الى الموصوف كسحق عمامة اى الانفس والارواح
السوارح وفى رواية بالشين المعجمة اى عطاياه تعالى كثيرة معدة
لشروح الانفس والارواح باذهاب احزانها فكيف يباس العاقل
عند اشتداد الازمة وقد روى البخارى خبر ما يصيب المؤمن
من وصب ولا نصب ولا حزن حتى الهم يهمه الا كفر الله به من سيئاته
وخبر ما من مسلم يشاك بشوكة فما فوقها الا كتب الله له بها درجة
ومحيت عنه بها خطيئة وخبر من يرد الله به خيرا يصب منه *
وكل ذلك مبنى على الصبر وهو اربعة انواع صبر على البلاء وصبر
عن المعصية وهما اساس طريق الاستقامة وصبر من فضول الدنيا
وهو اساس الزهد وصبر على المصايب والمحن وهو اساس الرضا
والتسليم لله تعالى وحسن الظن به وهو اشق الانواع على النفس فلذلك
افرده الناظم بالذكر فرجى اولا بانقضاء الشدة وانس النفس بالمحن ثانيا
وامر بالصبر ثالثا كما تقرر ثم اشار الكريم تعالى وكثرة عطاياه
لمن طلبها من بابها على وجهها بالصبر والادب وحسن الظن

مطلب انواع الصبر م

والمهج جمع مهجة قال الجوهرى وهى الدم وقيل دم القلب وقيل الروح
وهو المراد هنا كما شرحت عليه والمشهور ان الروح هى النفس فالمسوغ
لعطفها عليها اختلاف اللفظ كعطف رحمة على صلوات فى قوله تعالى
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وحقيقة الروح لم يتكلم عليها
النبى صلى الله عليه وسلم فنمسك عنها ولا نعتبر عنها باكثر من موجود كما قال
الجنيد وغيره والخائضون فيها اختلفوا فقال جمهور المتكلمين

مطلب معنى المهجة والروح م

انها جسم لطيف شفاف حي لذاته سار في البدن كماء الورد في
الورد واحتج له بوصفها في الاخبار بالهبوط والعروج والتردد
في البرزخ وقال كثير منهم انها عرض وهي الحياة التي صار البدن
بوجودها حيا وقالت الفلاسفة وكثير من الصوفية انها ليست
بجسم ولا عرض وانما هي جوهر مجرد قائم بنفسه غير متحيز متعلق
بالبدن للتدبير والتحريك غير داخل فيه ولا خارج عنه وفي البيت
الايغال وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها وهو
في المهج وعطف على جملة قوله (ولها ارج) اي للفوائد ارج من ارج
الطيب ارجا واريجا اذا فاح وانتشر (محي) بضم الميم من الاحياء
وهو اعطاء الحياة وهي صفة تقتضي الحس والحركة الارادية
اي محي النفوس الزكية بان يحييها الله به (ابدا) اي دائما (فاقصد
محيا) بفتح الميم من الحياة اي فات زمانا او مكانا (ذاك الارج) والمراد
اقصد ذاك الارج الشريف في زمانه او مكانه الا انه كني عنه بقصد
محياه اي زمانه او مكانه لانهما لازمان له والمعنى الذي ذكره
منتزع من كتاب الله تعالى كقوله ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا
عليهم بركات من السماء والارض وقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب الآية وفي البيت رد العجز على الصدر
وقدم والتتميم وهو ان يوتى في كلام لا يوهم خلاف المراد بفضلة
لنكتة وهو هنا في ابدا والجناس المحرف وهو ما اختلفت كلماته في
هيئة الحروف وتوافقت في نوعها وعددها وترتيبها وهو هنا في
محي ومحيا واذا امتثلت امري (فلربما) اي وقت (فاض) اي كثر فيه

الايغال

التتميم

الجناس المحرف

(المحيا) بفتح الميم اى مكان احيا (بحور الموج) وهو المرتفع من الماء
(من اجل (اللجج) وهى معظم الماء شبه المحيا فى كثرة الانوار والمعارف
بوادٍ فيه ماء ملاه وارتفع على جوانبه والجامع بينهما المحلية
وهى كون الوادى محلاً للماء والمحيا محلاً للانوار والمعارف
وطوى ذكر المشبه به وأتى بلازمه وهو الفيض فشبه المحيا
بالوادى استعارة بالكناية واثبات الفيض له استعارة تخييلية
ثم ذكر ان الفائض من ذلك المحيا بحور بمعنى انه انبسط على
الجوارح وسائر الجسد من المحيا المشبه بالوادى انوار عظيمة
واسرار كثيرة شبيهة فى كثرتها وانتشارها وتراكمها بالبحور
وهذا تشبيه آخر فى الفائض على وجه الاستعارة الاصلية المصرحة
ثم رشحها بالموج واللجج مبالغة والحاقاً لها بالحقيقة حتى بنى
عليها ما يبنى على الحقيقة وحاصل المعنى انك اذا امتثلت الامر
المذكور فقد غمرك فضل الله فى الدارين فيفيض عليك خيراً كثيراً
كالبحور المتلاطمة امواجها من كثرتها وفى رب سبعون لغة ضم الراء
وفتحها مع تشديد الباء وتخفيفها مفتوحة فى الضم والفتح او مضمومة
فى الضم كل من الستة مع تاء التأنيث ساكنة او مفتوحة او مضمومة
او مع ما او معهما باحوال التاء او مجردة منهما فذلك ثمانى واربعون
وضمها وفتحها مع اسكان الباء كل منهما مع التاء مفتوحة او مضمومة
او مع ما او معهما بحالتى التاء او مجردة فذلك ثنتا عشرة وربتا
بضم الراء وفتحها كل منهما مع اسكان الباء او فتحها او ضمها مخففة
كانت او مشددة فى الاخيرين فذلك عشرة فالجملة سبعون

مطلب لغات رب

وان نظرت الى تحريك التاء بالكسر كما اقتضاه تعبير من عبر
فيها بتحريكها بدل فتحها زادت اللغات على ذلك قال ابن هشام
وليس معناها التقليل دائما خلافا للاكثرين ولا التكثير دائما
خلافا لابن درستويه وجماعة بل ترد للتكثير كثيرا وللتقليل
قليلا اهـ وقيل لا تدل على شئ منهما الا بقرينة وفي البيت الائتلاف
وهو الجمع بين المتناسبات لا بالتضاد وهو في الموج واللجج
والايغال والتتميم وقد مرا وهما في قوله من الحج ثم استأنف فقال
(والخلق) بمعنى المخلوق حالة كونه (جميعا) اى مجموعا (في يد) اى
قوته او نعمته (فذو وسعة) اى يسار (وذو حرج) اى ضيق
وفي نسخة من ذي سعة او ذي حرج نبه بذلك على جلال الله وكمال
احاطته بعالم الغيب والشهادة وتفصيله لا يعلم كنهه الا الله
قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو ودل تنوين سعة وحرج على
تنويعهما وتكثيرهما فيشمل الغنى والفقر والعلم والجهل والجاه
والخمول وغيرها وسعة بفتح السين لفظا وكسرها تقديرا لان
المضارع منها بالكسر لكنه فتح لحرف الحلق واصلها وسعة بكسر
الواو فاعلت تبعا للمضارع بحذف الواو لوقوعها بين ياء
مفتوحة وكسرة مقدرة وفي البيت الجمع والتفريق وهو ان يجمع
شيئان في حكم واحد ثم يفرق بينهما كما جمع الناظم الخلق في نفوذ
قدرة الله تعالى فيهم ثم فرق بينهم بان فضلهم الى موسع عليه ومضيق
عليه والتتميم وقد مر وهو في جميعا والطباق وقد مر وهو في المصراع
الثاني والترديد وهو ان تعلق لفظة بمعنى ثم باخر كما علق ذو

الائتلاف ٥

لعله قدرته ٥

الجمع والتفريق ٥

الترديد ٥

اوّلًا بالسّعة وثانيًا بالحرج ومنه قوله تعالى حتّى نؤتى مثل ما اوتى
رسل الله الله اعلم وقوله تعالى لا يستوى اصحاب النار واصحاب الجنّة
اصحاب الجنّة هم الفائزون (و) امّا (نزولهم) اى الخلق من علوّ الى سفل
حسًّا او عقلًا اعنى مرتبة (وطلوعهم) من سفل الى علوّ كذلك (فعلى
درك) فى الاوّل (وعلى درج) فى الثانى وفى نسخة فالى درك والى
درج يقال النّار دركات والجنّة درجات والمناسبة ظاهرة نسبة
بهذا البيت وما بعده على طلب الخوف والرّجاء والتوكّل والتسليم
لامر الله تعالى تاكيدًا لامر الصّبر الذى هو اساس التقوى وقد
شبّه ما يحصل للعبد من محسوس ومعقول بالدّرك والدّرج
بجامع المحلّيّة لانّ الدّرك والدّرج محلّان لمن حلّ فيهما فى وقت
مخصوص كما انّ الانتقال فى الاحياز والكتب المعانى السّفليّة والعلويّة
محلّ للكسب مقدّرة بمقادير وصفات مخصوصة واطلق اسم المشبّه
به على المشبّه كما اطلق اسم النّزول والطّلوع على اكتسابهما مبالغة
فى التشبيه بالاستعارة التحقيقيّة وفى البيت الطباقى فى المصراعين
والمناسبة اللفظيّة فيهما وهى الاتيان بكلمات مرتّبة مقفّيات
كما فى الاوّل وغير مقفّيتين كما فى الثانى واللفّ والنّشر وهو ان يؤتى
باشياء ثمّ تقابل باشياء بعددها ويردّ كلّ واحد منها الى ما يناسبه
من غير تعيين ثقة بفهم السّامع والترديد فى على والجناس اللاحق
وهو ما اختلفت كلمتاه بحرف بعيد فى المخرج وهو فى درك ودرج
كما فى قوله تعالى وانّه على ذلك لشهيد وانّه لحبّ الخير لشديد *
(ومعايشهم) فى الدّنيا من مطاعم وملابس ونحوها (وعوائقهم)

المناسبة اللفظيّة ٥ اللفّ والنّشر ٥ الترديد ٥

فى الاخرة من سعادة وشقاوة (ليست فى المشى) اليهم (على عوج)
بل مستقيمة فانها مرادة مقدرة لله تعالى موجهة اليهم فى اوقاتها
المخصوصة كنزولهم وطلوعهم وهم معايش شاذ لان يائها عن الكلمة
بخلاف صحائف فان يائها زائدة وقد شبه المعايش والعواقب
بحصول شيئا فشيئا بالماشى واثبت لها المشى فشبهها بالماشى
استعارة بالكناية واثبات المشى لها استعارة تخييلية وفيه اشارة
الى الاجمال فى المطلب المأمور به فى خبر اتقوا الله واجملوا فى الطلب
وفى البيت المناسبة اللفظية والطباق والجمع وهو ان يجمع الجمع ٥
شيئان فى حكم كما فى قوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا وتلك
المذكورات من السعة والحرج والنزول والطلوع والمعايش والعواقب
(حكم) من الله تعالى جمع حكمة وهى صواب الامر وسداده لانه تعالى يتصرف
فى عبيده بما يشاء وافى غرضهم اولا وربك يخلق ما يشاء ويختار
لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وحظ العبد يا مالك يوم الدين
اياك نعبد واياك نستعين (نسخت) تلك الحكم (بيد) اى بقوة الله تعالى
(حكمت) اى قضت فى كل الامور لا راد لما قضى (ثم انسخت) تلك
الحكم اى التحمت (بالمنتسج) اى المؤتلف والمراد به العبد المقضى عليه
بالمقادير شبه تلك الامور فى تعلقها بالعبد وتناسبها لهم
مع تأثرهم بها ارتفاعا وانخفاضا بخيوط نسج واثبت لها النسج
فشبهها بالخيوط استعارة بالكناية واثبات النسج لها استعارة تخييلية
وذكر اليد ترشيح للاستعارة لانها تناسب النسج والخيوط لكونها بها وفيه
تنبيه العاقل على تلقى المقادير بالقبول وتسليم الامر لله تعالى العلم بانه

لد

للعبد شئ من الامر وان الامر مرتبط بمشيئة الله تعالى ارتباطا
يخرج عن حد المعقولات والمألوفات والمراد بالحكم المقادير
المصورة بصورة الخيوط المنسوجة وانتسج مطاوع نسج والنسج الالحام
وثم للتعقيب بمعنى الفاء كما فى قول الشاعر (كفر الردينى تحت العجاج *
جرى فى الانابيب ثم اضطرب) او للتراخى فى الرتبة لان الانتساج
متأخر عن النسج رتبة تأخر المعلول عن علته وفى البيت الجناس المحرف
وقد مر وهو هنا فى حكم وحكمت والاثلاث وهو هنا فى نسجت مع يد
وشبه الجناس وهو ان يجمع اللفظين الاشتقاق او شبهه وهو هنا
فى نسجت وانسجت والمنسج وشبه الازدواج وهو ان يؤتى بجمل
متعاطفة بغير الواو ومرتب بعضها على بعض وهو هنا فى نسجت
وانتسجت والجناس تشابه اللفظين فى التلفظ والازدواج
توالى كلمات الجناس ومنه قولهم من طلب شيأ وجد وجد ورد
العجز على الصدر فى الفعل الاول مع الثانى ومع اسم الفاعل
والتتميم فى حكمت والتسميط وهو ان يصير الشاعر البيت اربع
اقسام ثلاثة منها على سجع واحد وهو فى الافعال الثلاثة واذا
كانت المذكورات احكاما كما ذكر (فاذا اقتصدت) اى توسطت فى
نظر العقل (ثم انعرجت) اى مالت فيه (فبمقتصد) اى فاقتصادها
وانعراجها كائنان بمقتصد (وبمنعرج) بكسر الصاد والراء وهو العبد
المقضى بما عليه فيصير باقتصادها فى نظر مقتصدا وبانعراجها
فيه منعرجا كما يصير باكتمالها فيه مكملا فيتعرف اليه الحق فى الاحوال
الثلاثة فيتعرف اليه فى حال اكتمالها باسمه الجواد المنعم الكريم الغنى

وشبه الجناس
شبه الازدواج
الازدواج
التتميم

وفي حال اقتضادها باسمه الحليم اللطيف وفي حال انعوجاجها باسمه
القاهر العدل الحكم وتبدل هذه الاحوال من آثار القدر الذي
استأثر الله بعلمه وأخفاه عن خلقه والواجب تسليم الامر لمن له الخلق
والامر لا اله الا هو وأجر على هذا في باقي متعلق اسمائه تعالى *
قال ابن عطاء الله ان آدم عليه السلام لما تعرف اليه الحق سبحانه وتعالى
بالايجاد فناداه آدم يا قدير ثم تعرف اليه بتخصيص الارادة
فناداه يا مريد ثم تعرف اليه بحكمه لما نهاه عن اكل الشجرة فناداه
يا حاكم ثم قضى عليه باكلها فناداه يا قاهر ثم لم يعاجله بالعقوبة
اذ اكلها فناداه يا حليم ثم لم يفضحه في ذلك فناداه يا ستار
ثم تاب عليه فناداه يا توابا ثم اشهد انه اكله من الشجرة لم يقطع
وده فناداه يا ودود ثم انزله الى الارض ويسر له اسباب المعيشة
فناداه يا لطيف ثم فواه على الذي اقتضاه منه فناداه يا رحيم
ثم اشهد سر النهي والاكل والنزول فناداه يا حكيم ثم نصره
على العدو والكائد له فناداه يا نصير ثم ساعده على اعباء تكاليف
العبودية فناداه يا ظهير قال فما انزله الى الارض الا ليكمل له
وجوه التعريف ويقيمه في وظائف التكليف فتكملت فيه العبودية
عبودية التعريف وعبودية التكليف فعظمت منة الله تعالى عليه
وتوفر احسانه اليه بعد ان كان في الجنة متعرفا اليه بالرزق
والعطاء والاحسان فاراد الحق سبحانه من خفي لطفه في تدبيره
ان ياكل من الشجرة ليتعرف اليه في الارض بما تقدم لان الدنيا محل
الوسائط والاسباب والجنة محل مشاهدة الانعام ونبه الناظم بثم

على ان الانزاح متراخ عما قبله في الرتبة لعلته وكثرة ما قبله
تفضلا منه تعالى لان معاملته لخلقه بمقتضى رحمانيته اكثر
ولهذا قال تعالى عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء
وقال صلى الله عليه وسلم فيما حكاه عن ربه ان رحمتي سبقت غضبي والانسان
يعد ايام المحنة ولا يعد ايام النعمة وفي البيت الطباق والمناسبة
اللفظية بالتقفية وبدونها واللف والنشر وشبه الجناس وورد
العجز على الصدر والارصاد وهو ان يجعل قبل العجز من الفقرة
او من البيت ما يدل عليه اذا عرف الروي ومنه قوله تعالى وما كان الله
ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون (شهدت بحجابها) اي الحكم
او انواع المخلوقات (بحج) بضم الحاء اي ادلة كما شهدت بحكمة وجود
صانعها (قامت) اي استقلت او دامت او ظهرت او غلبت وفي
نسخة فاقت (بالامر) واحد الامور اي الشان او الوصف او واحد
الاوامر اي القول الطالب للفعل وكل منها مراد اي قامت الحجج
بان المؤثر في كل امر هو الله تعالى كما هو مقرر في محله وقيل المراد
الشان او الوصف اي قامت بشان الربوبية او بوصفها (على)
محمد (الحجج) بكسر الحاء اي السنين وقيل بضمها اي الادلة الدالة
على ان المرجع الى العقول او نحوها كدليل الفلاسفة ودليل الطبائعيين
والمنجمين وغيرهم وفي كلامه استعارة امتا بالتبعية بان شبه
دلالة الحجج في كمال وضوحها بالشهادة ثم اشتق الفعل منها
واما بالكناية بان شبه الحجج في افادتها المدلول بالشهود واثبت
لها الشهادة فتشبيهه لها بالشهود استعارة بالكناية واثبات

الارصاد

ولنسخة فيها وقيل فيها بدل اي قامت او قامت الخ

الشهادة لها استعارة تخييلية وفي البيت الترديد ورد العجز
على الصدر ان ضمنت حاء الحج والجناس المحرف ان كسرت والتتميم والايغال
(ورضي بقضاء الله) تعالى (حجي) بفتح الحاء مع فتح الجيم وكسرها
اي حقيق على كل مؤمن ليصون به ايمانه وسائر طاعاته وبكسرها
مع فتح الجيم اي عقل بحذف مضاف اي عمر به او جعله العقل مبالغة
لانه سبب للسعادة الدينية والدنيوية فجعله العقل الذي هو
اشرف ما منحه الانسان والله علم على الذات الواجب الوجود المستحق
لجميع المحامد والقضاء هو الحكم بالكليات مجملة في الازل والقدر
هو الحكم بوقوع جزئياتها مفصلة فيما لا يزال قال الله تعالى وان
من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم ويقرب
من ذلك قول بعضهم القضاء ايجاد جميع المخلوقات في اللوح
المحفوظ مجملة والقدر ايجادها في الاعيان مفصلة قال تعالى خلق
كل شيء فقدره تقديرا اي فابرزه على ما سبق في علمه ويطلق القضاء
على المقضي ومنه ما في خبر البخاري اللهم اني اعوذ بك من درك
الشقاء وسوء القضاء وهذا لا يجب الرضى به مطلقا بل ان كان
واجبا كالايمان وجب الرضا به او مندوبا ندب او مباحا ابيح
او مكروها كره او حراما حرم بخلاف القضاء بالمعنى الاول
يجب الرضى به مطلقا فالمقضي عليه بمعصية من كفر او غيره
يحرم عليه الرضا بها من حيث انها مكتسبة له ومنهي عنها ويجب
عليه الرضا بها من حيث انها خلق الله تعالى وايجاده لانه متى سخطها
كان قال لم فعل هذا وانا لا استحقه كان ذلك كفرا او معصية اخرى بحسب حاله

معنى القضاء والقدر

لخبر ان الله تعالى يقول من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي
ولم يشكر نعمائي فليتخذ الها سواي والرضى قسمان قسم يكون
لكل مكلف وهو ما لا بد منه في الايمان وحقيقته ان لا يعترض
على حكم الله وتقديره وهو ما اشار اليه الناظم بما مر وقسم
لا يكون الا لارباب المقامات وذوي النهايات وحقيقته ابتهاج
القلب وسروره بالمقضي قالت رابعة رضي الله عنها لما سئلت
متى يكون العبد راضيا اذا سرته المصيبة كما سرته النعمة *
واختلفوا في هذا هل هو من المقامات او من الاحوال فقال اهل
خراسان بالاول ومعناه انه مكتسب للعبد وهو نهاية التوكل
واهل العراق بالثاني وليس مكتسبا بل يحل بالقلب كسائر الاحوال
قال بعضهم ويمكن الجمع بينهما بان بداية الرضى مكتسبة
فهو من المقامات ونهايته غير مكتسبة فهو من الاحوال والى هذا
القسم مع التنبيه على انه من المقامات وان القسم الاول اساسه
اشار الناظم بقوله (فعلم وكونه) اي لا على غيرها (فحم) اي
فاعطف يقال عجت البعير اعوجه عوجا ومعاجا اذا عطفت
رأسه بزمامه اي لكون الرضا حقيقيا على كل مؤمن اولكونه اجل
مطالبه فاعطف على اعلاه واشرفه الذي هو في شرفه ومدار
صحة الايمان عليه والتوصل اليه من جميع جهاته واسبابه كمركز
الدائرة وبهذا علم انه شبه الرضى بالدائرة واعلاه واشرفه بمركزها
ورشح هذه الاستعارة باستعارة العوج الذي هو العطف
للطلب الكائن من جميع الجهات والاسباب وفي البيت المناسبة

هكذا بالهامش

الاتباع

في رضى وحجى بوزنه والاتباع وهو ان يأتي الشاعر ببيت يتسع فيه التأويل (واذا انفتحت) لك (ابواب هدى) اى اهتداء بان خلقه الله فيك (فاعجل) اى فاسرع (لخزانتها) جمع خزانة بكسر الخاء (ولج) اى ادخل فيها استعار الانفتاح لارتفاع الموانع الحسية وانكشاف الحجب النفسية وزوال العلائق المعنوية المانعة من نيل المقامات والمعارف واستعار الابواب لتلك الموانع والحجب والعلائق لانها مانعة من الهدى فلا يحصل في محله الا بزوالها كالابواب لا يتوصل الى ما وراءها الا بفتحها والعجلة كناية عن الجد في الطلب وقوة العزم ومجاز عنهما والولوج كناية عن الثبوت في تلك المقامات والمعارف * والحاصل انه شبه في الصدر الهدى المتضمن لما اكتسبه العبد من المقامات والمعارف بخزائن لها ابواب مغلقة بجامع ان المشبه مظنة القرب من الله الذي هو اعظم مطلوب والمشبه به محل للاموال النفيسة فالتشبيه استعارة بالكناية واثبات الابواب للهدى استعارة تخييلية ورشحها بالانفتاح الملايم للابواب ثم اشتق منه العقل فهو استعارة تبعية ثم رتب على ذلك الحجر كما تقرر وتضمن كلامه التنبيه على اصل عظيم في السلوك وهو مخالفة النفس في شهواتها ويتحقق بما ذكر لان طبعها الميل الى ترك العبادة والى حظها من فعلها ولهذا قال العلماء مخالفة النفس راس العبادة ومن نظر اليها باستحسان شيء منها فقد اهلكها بمهلكاتها كالكبر والعجب والحسد وطول الامل وكيف يصح لعاقل الرضا عن النفس

هكذا في النسخ ولعلهم الفعل

والله تعالى يقول ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي والهدى
قد يكون لازما بمعنى الاهتداء وهو وجدان الطريق الموصل
للمطلوب كما مر ت الاشارة اليه ويقابله الضلال وهو
فقدان الطريق الموصل وقد يكون متعديا بمعنى الدلالة على
الطريق عند اهل الحق وعلى الطريق الموصل للبغية عند المعتزلة
ويقابله الاضلال بمعنى الدلالة على خلافه كما ضلني فلان عن الطريق
الموصل للبغية والهدى انما يستعمل في الخير لانه لغة الدلالة بلطف
واما قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم فوارد على طريق التهكم
وفي البيت التمكين وهو ان يمهد الناثر سجعته او الناظم لقافيته
تمهيدا به تأتي كل منهما متمكنة في مكانها غير نافرة ولا قلقة
ولا مستدعاة لما لا تعلق له بالفقرة او البيت (واذا حاولت)
اي طلبت (نهايتها) اي الابواب والهدى فانه يذكر ويؤنث ولانه
بمعنى الخزانة والمعنى اذا طلبت الانتقال الى مقام او حال (فلحذر
اذ ذاك من الحرج) اي فالزم فيه حسن الادب من الثبات عليه
وموافقة مراد الله تعالى ولا تختر الانتقال عنه حتى ينقلك الله
الى ما هو ارفع منه فان تشوفت الى الانتقال نفسك لتبلغ الغاية
فقد بلغت غاية الجهل بربك واسأت الادب في حقه ولا تصل
الى مطلوبك فكن كما قال ابن عطاء الله كن عبدا لله في كل شيء
عطاء ومنعا وعزا وذلا وولاية وعزلا وغنى وفقرا وقبضا
وبسطا وفقدا ووجدا وشدة ورخاء وبقاء وفنا الى غير ذلك
من مختلفات الآثار ومتنقلات الاغيار وكني عن عدم الوصول بالعرج

الابيات

اوشبّه به عدم دوام الاستقامة لان كلا منهما لا يوصل معه
الى مقصد قريب اولا يوصل اليه البتة وتضمن كلامه مع ما ذكر التحذير
من حظوظ النفس ومن الركون الى غير الله في اثناء السلوك

قال الشيخ ابو الحسن التستري رضي الله تعالى عنه

فلا تلتفت في السير غيرا فكلما سوى الغير واتخذ ذكره حصنا) * (وكل مقام انتم فيه انه *
حجاب فجد السير واشحذ العزما) * (ومهما ترى كل المراتب تجتلى عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا)
وقل ليس الى غير ذاتك مطلب * فلا صورة تجلى ولا طرفة تحنا) * (وسر نحو اعلام اليمين فانها
سبيل بها يمن فلا تترك اليمنا) ثم علل قوله فاحذر الخ بقوله (لتكون من السباق)
الى فرج الجنة (اذا ما) زائدة للتاكيد (جئت) معهم (الى تلك الفرج)
اراد بالمجيء السير لا بنقل الاقدام بل بنظر القلب فشبه النظر في
المعقولات الموصلة الى المطلوب بالمجيء الحسي وشبه المنظور فيه
وهو المعقولات بالامكنة لانها محل حركة النظر كما ان تلك الامكنة
محل حركة الاقدام واطلق اسم المشبه به على المشبه على طريق الاستعارة
التحقيقية والى متعلق بالسباق فان وصلت الى تلك الفرج (فهناك)
اى لا في غيره (العيش وبهجته) اى الحياة الكاملة وحسنها (فلمبتهج)
اى مسرور بما حصل له من لذة التجلي على اختلاف رتبها (ولمنتهج)
من المنهج وهو الطريق واستعير للتقوى فالمراد ولمتق وانتهاجه
باستعماله فعلا وحالا في معاني التقوى الظاهرة والباطنة الموصلة
الى صفو اليقين الموجب للابتهاج اى فاعجبوا لهذين الصنفين
العظيمين من بين الناس لان ما عداهما اما هالك او في الخطر
والتنوين فيهما للتعظيم والتنويع ولما اختلفا في المقام اختلفا

في التعبير عما في الضمير فالمنهج يقول مخبرا بذوقه (ذكرك لا اني نسيتك لمحة *
وانيسر ما في الذكر ذكر لساني) (ولقد تبلا وجدا مؤمن الهوى * وهام على القلب بالخفقان)
(فلما رأني الوجد انك حاضري * شهدتك موجودا بكل مكان) (فحيث طلبت موجودا بغير تكلم *
ولاحظت معلوما بغير عيان) والمنهج يقول مخبرا عن حال سيره ومجاهدة نفسه لمراقبة ربه
(كأن رقيبا منك يرعى خواطري * وآخر يرعى خاطري ولساني) (فما رمت عينا بعد لمحك منظرا *
لغيرك الا قلب قد رمقاني) (ولا خطرت في السر مني خطرة * لغيرك الا عرجا بعناني)
(واخوان صدق قد نسيت حديثهم * وعرجت عنهم خاطري ولساني) (وما الزهد الا عنهم
غير اني * وجدتك مشهودا بكل مكان) واعلم ان كل من وصل الى
صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو ذو رتبة في الوصول
وان تفاوتوا فيها كالملائكة فمنهم من يجد الله بطريق الافعال
فيفنى عن فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله ويخرج في هذه الحالة
من التدبير والاختيار وهذا تجلى بطريق الافعال ومنهم من
يوقف في مقام الهيبة والانس لما يكاشف قلبه من مطالعة الجمال
والجلال وهذا تجلى بطريق الصفات ومنهم من ترقى الى مقام الفنا
مشتملا على باطنه انوار اليقين والمشاهدة معنى في شهوده عن
وجوده وهذا ضرب من تجلي الذات لخواص المقربين والمقربون
هم الذين اخذوا عن حظوظهم وارادتهم واستعملوا في القيام
بحقوق مولاهم عبودية له طلبا لمرضاته وهم العارفون اهل
صفو اليقين واليهم اشار الناظم بالمنهج والابرار هم الذين
بقوا مع حظوظهم وارادتهم واقاموا في الاعمال الصالحة ومقامات
اليقين ليجروا على مجاهداتهم برفيع الدرجات وهم الزاهدون

واليهم اشار بالمنهج ومع الاحوال المذكورة ينبغي للعبد ان
يعلم انه لم يصل الى شئ فاين الوصول ههنا اولا ترى ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يستغفر في اليوم مائة مرة واستغفاره
انما هو بحسب اختلاف رتب التجلي له حتى يرى ان كل تجل بالنسبة
الى ما فوقه موجب للاستغفار ولذلك قال لا احصي ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك وفي البيت الجناس اللاحق والارداف
وشبه الجناس ورد العجز على الصدر والمناسبة اللفظية والطباق
واذا ثبت ان العيش الكامل وبهجته في الجنة ومن المعلوم انه
لا يحصل ذلك عادة الا بالاعمال الصالحة (فهج الاعمال) وفي
نسخة وهج بالواو يقال هاج فلان الشئ هيجا وهياجا وهيجانا
اذا اثاره وحركه وهاج الشئ اذا ثار وتحرك يتعدى ولا يتعدى
وقد استعملهما الناظم اي اثر الاعمال وحركها بمعنى ادمها
(اذا ركدت) اي سكنت والمراد قلت لانه صلى الله عليه وسلم كان عمله
ديمة رواه مسلم ولقوله صلى الله عليه وسلم احب العمل الى الله ادومه وان
قل رواه الشيخان (فاذا ما) زائدة للتاكيد (هجت) اي ادمت الاعمال
(اذا) بالتنوين اي اذ قلت (نهج) اي تدوم وفي البيت الطباق
ورد العجز على الصدر والترديد وشبه الجناس والجناس اللاحق
والارصاد والتعطف وهو ان تعلق لفظة او ما تصرف منها
بمعنى في الصدر ثم بمعنى آخر فيما سوى الصدر من العجز وهو ههنا
في هجت وهج فشبه المصراعين في انعطاف احدهما على الآخر بالعطفين
وكون كل منهما يميل الى الجانب الذي يلي الآخر والتخلص

تعطف

تخلص

وهو الخروج بما شبب الكلام به الى المقصود مع رعاية الملايمة
بينهما والناظم قد شبب كلامه اولا بذكر احوال اهل النهايات
من المنتهجين والمنتهجين ثم ختمه بالاشارة الى الوصول ثم حضهم
على دوام الاعمال ثم خرج من ذلك الى ذكر احوال اهل البدايات مع رعاية
الملايمة بينهما من حيث ان هؤلاء يخاطبون بابتداء الاعمال
واولئك بدوامها * ثم اشار الى مقام التوبة بتقبيح المعصية فقال
(ومعاصي الله) تعالى (سماجتها) من سمج بالضم اى قبح (تزدان) اى
تزين وتحسن (لذي الخلق) بضم الخاء واللام ما طبع عليه الانسان
بلا تكلف كالكرم والشجاعة (السمح) اى الكريم وسماجتها بدل
اشتمال من المبتدا قبله او مبتدا وخبره تزدان وهو مع خبره
خبر الاول وتزدان اصله تزيين بوزن تفتعل من الزين تحركت
الياء وانفتح ما قبلها قلبت الفا ووقعت تاء الافتعال وهي
من الحروف الرخوة بعد الزاى الشديدة فتنافرتا فابدل من التاء
دالا وابقيت بحالها ويجوز قلبها زايا وادغامها في الزاى قبلها
ويجوز قلب الزاى دالا وادغامها في الدال المبدلة وفي البيت
الطباق وردّ العجز على الصدر ثم اشار الى ترغيب ذوي النهايات
في مداومة الاعمال في الطاعات فقال (ولطاعته) اى طاعة الله
(ومباحتها) اى جمالها (انوار صلاح مبتلج) اى اضواء ظاهرة
ظهور ضوء الصباح الواضح وبها تذهب ظلمات الجهل عن القلب
وظلمات القنوط عن الروح ويفوز المطيع بالهنا من النعيم الذي
منه النظر الى وجهه الكريم والطاعة غير القربة والعبادة

الفرق بين الط
والقربة والعبا

لانها امتثال الامر والنهى والقربة ما تقرب به بشرط معرفة
المتقرب اليه والعبادة ما تعبد به بشرط النية ومعرفة المعبود
فالطاعة توجد بدونهما فى النظر المؤدى الى معرفة الله تعالى
اذ معرفته انما تحصل بتمام النظر والقربة توجد بدون العبادة
فى القرب التى لا تحتاج الى نية كالعتق والوقف وظاهر كلامه
ان للطاعة انوارا وان كان المطيع فاسقا وهو كذلك قال
ابن عطاء الله ويكفى فى تعظيم المؤمنين ولو كانوا عن الله غافلين
قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية
اثبت لهم الاصطفاء بالايمان وان كانوا ظالمين وفى البيت
التتميم والايغال وشبه الجناس * ثم اشار الى ترغيب ذوى
البدايات فى فعل الطاعات بتشويقهم الى نساء الجنة لانه امثل
بحالهم فقال (من يخطب) بالجزم بمن الشرطية من الخطبة بكسر الخاء
وهى طلب التزوج اى من يطلب من الله تعالى (حور الخلد) اى نساء الجنة
وفى نسخة حور العين (بها) اى بالطاعة ويوفق بها (يظفر) بالجزم
بمن اى يفز (بالحور) الكاملة الحسن اللاتى لا يوجد مثلهن فى الدنيا
(وبالغنج) بضم الغين مع ضم النون واسكانها وبفتحها حسن الشكل
بالكسر اى الدل يقال امرأة ذات شكل اى دل وغنج ويجوز فيه
تقدير مضاف اى بذوات الغنج فيكون من عطف الصفات الدالة
على اجتماعها فى ذات واحدة مثل قول الشاعر (الى الملك القرم وابن الهمام
وليث الكتيبة فى المزدحم) وسميت نساء الجنة بالحور العين لانهن شبهن
بالظباء والبقر من الحور بفتح الحاء والواو وهو شدة بياض العين فى شدة سوادها

وسُمّيت الجنة بالخلد لانها دار البقاء الدائم السالم من المحنة
وفي البيت الترديد والتتميم والايغال واذا اردت الظفر بالحور
العين (فكن) الكفو (المرضيّ لها بتقىً) بمعنى التقوى وتاؤها
بدل من الواو وواو وتقوى بدل من الياء بدليل الوقاية فيهما
اى بسبب تقى منك (ترضاه) بان تراه مقبولا اى مثابا عليه
لموافقته الشرع (غدا) اى يوم القيمة واصله غدو حذفت واوه
بلا عوض وفي نسخة هوى اى هواك (وتكون) به هناك (نجي) بالو قف
بحذف الحركة والالف على لغة ربيعة اى نجيا من المكروهات
وجعل السبب فيما ذكر التقوى لانها اعظم الخصال وانفعها
ولهذا وصى الله بها الاولين والآخرين فقال تعالى ولقد وصينا
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وفي الخبر
جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اوصني فقال عليك بتقوى
الله فانها جماع كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية المسلم
وعليك بذكر الله فانه نور لقلبك وحقيقتها اجتناب ما يخاف
منه ضرر في الدين وفي البيت التتميم في غدا وشبه الجناس
ولما رغب في فعل الطاعة عامّ امر بتلاوة القرآن وغيرها فقال
(واتل القرآن) متدبرا له (بقلب) اى فؤاد (ذي حزن) بفتح الحاء
والزاى اى حزين وفي نسخة ذي حرف جمع حرفة اى محترف (واه محسنا له
(بصوت فيه شجن) اى حزن بمعنى رقيق من قولهم فلان يقرأ بالتحزين اذا رقق
صوته وذلك لقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا والخبر الترمذي يقول الله عز وجل
من شغله القرآن عن ذكري ومسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين

وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على جميع خلقه *
وفي خبر ابي داود وغيره زينوا القرآن باصواتكم قال الخطابي
معناه زينوا اصواتكم بالقرآن كما فسره غير واحد من ائمة
الحديث قال وقد روي كذلك وهو الصحيح ومعناه اشغلوا
اصواتكم بالقرآن والهجوا به واتخذوه شعارا وزينة انتهى
ولان ذلك اقرب الى توقير القرآن فقوله شج وصف على فعيل
بمعنى مفعول او فاعل فيكون مشددا لكنه خففه للوزن
ويحتمل ان يكون فعلا او مصدرا وعلى الاولين يكون صفة
لصوت وفيه حالا اي حال تلاوة القرآن وعلى الثالث يكون
بمعنى المصدر بجعله مبتدأ وفيه خبره اي في الصوت شج
اي حزن وفي البيت التكميل وهو ان يأتي الناثر او الناظم بمعنى
من مدح او غيره ثم يرى انه غير كاف فيأتي بمعنى آخر يزين به الكلام
(وصلاة) وفي نسخة وقيام (الليل) اي نافلته وهي افضل من
نافلة النهار (مسافتها) اي كمسافة التلاوة فيها (فاذهب فيها
بالفهم) اي العلم (وجي) قال تعالى من اهل الكتاب امة قائمة يتلون
آيات الله آناء الليل وهم يسجدون الآية وروى الطبراني وغيره
خير شرف المؤمن قيام الليل وبكره قيام كل الليل دائما وان يضر
فيه نفسه والناظم شبه الصلاة بالمسافة لانها محل لكثرة التلاوة
كما ان المسافة محل لكثرة السير اي صلاة الليل محل لاكثار التلاوة
فاخصص التلاوة فيها بمزيد حضور وتامل ليتم لك علامة المنابا
وتفيض عليك المعارف وفي البيت الطباق والترصيع والتتميم والايغال

(وتأملها) اى صلاة الليل (و) تأمل (معانيها) اى مقاصدها الدينية والدنيوية الواردة فى الاخبار كخبر عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم ومقربة لكم الى ربكم ومكفرة للسيئات ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الاثم رواه الترمذى وغيره (تأت الفردوس) وهو حقيقة اعلى الجنة واوسطها لحبر البحار فاذا سألتم الله فاسئلوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة (وتفتح) من الهم والغم ويجوز ان يكون ذلك مجازا عن كمال لذة المعرفة الراسخة لها صلة من التأمل والمعنى اذا كثرت التأمل فى الصلاة كثرت معارفك وانوارك الدينية الشبيهة فى كمالها ورسوخها بالفردوس او الموصلة اليه ويجوز عود الضميرين الى الايات المتلوة المفهومة من امر والفعل المضارع اذا وقع بعد امر وقصد به التسبيب فانه يرفع سواء وقع صفة كقوله تعالى فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب على قراءة الرفع ام حالا ام استئنافا لقوله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون فانه يحتمل الوجهين ويحتمل الاوجه كلها قوله تعالى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى وقد قرئ لا تخف وفى البيت التتميم والايغال (واشرب) روعتك (تسنيم مفجرها) بفتح الجيم المشددة اى مفجر الفردوس وهو الماء المجرى من فجرت الماء اجريته والتسنيم عين فى الجنة يشرب منها المقربون من سنمت الشئ رفعته سميت به لان شرابها ارفع شراب فى الجنة او لانها تأتيهم من فوق على ما روى

انها تجري في الهوى متسنمة فتصب في اوانيهم فيشربون منها
ما يريدونه حال كونه (لا ممتزجا) اي مختلطا بغيره وهذا
للمقربين (وممتزج) بغيره وهو للابرار قال تعالى يسقون
اي الابرار من رحيق اي خمر خالصة من الدنس ثم قال ومزاجه
اي ما يمزج به من تسنيم عينا يشرب بها المقربون او منها او ضمن
يشرب معنى يلتذ وفسر في الآية التسنيم بقوله عينا الخ نصبه
باعني مقدرا او بالحالية من تسنيم وحاصله انك تجمع بين
اللذتين العجيبتين لذة التسنيم الصرف ولذة التسنيم الممتزج
والكلام على ظاهره ويحتمل انه شبه ما يظهر من معاني التلاوة
من المعارف والانوار بالتدبير والتفهيم في تأثر النفس به
استحسانا وكمالا بالماء المذكور خالصا وممتزجا وامر بقبول
تلك المعارف والانوار بقوله واشرب اي تلق بالقبول فهو
استعارة او كناية واشرب اما باق على معناه كما تقرر فيعطف
على الامر قبله او معنى الخبر فيعطف على جواب الامر السابق
وفي البيت الطباق وردّ العجز على الصدر والجناس التام المتن
وبمتزج (مدح العقل الآتيه) اي الذي يأتي ما مر من الطاعة وغيرها
من المقامات وجلها معرفة الله التي بها سعادة الدارين والتهيؤ لمناجاته
وفهم خطابه (هدى) اي دلالة على الطريق وهو مفعول له او حال
من فاعل آتيه او من مفعوله او منهما والعقل لغة المنع واصطلاحا
يقال بالاشتراك كما قال الغزالي لاربعة معان احدها غريزة
يتهيأ بها لدرك العلوم النظرية قال وكأنه نور يقذف في القلب

مطلب
معنى العقل

به يستعد لادراك الاشياء وثانيها بعض العلوم الضرورية
ثالثها علوم تستفاد من التجارب بمجارى الاحوال رابعها انتهاء
قوة تلك الغريزة الى ان تعرف عواقب الامور وتقمع الشهوة الداعية
الى اللذة العاجلة وتقهرها قال ويشبه ان يكون الاسم لغة
واستعمالا لتلك الغريزة وانما اطلق على العلوم مجازا من حيث
انها ثمرته كما يعرف الشيء بثمرته فيقال العلم هو الخشية ورابعها
هو مراد الناظم وعبر عن اولها الامام الرازى بانه غريزة يتبعها
العلم بالنظريات عند سلامة الآلة وعرفه الشيخ ابو اسحاق الشيرازى
بانه صفة يميز بها بين الحسن والقبيح وهو مفهى قول الشافعى انه آلة
التمييز وعرفه اكثر الحكماء بانه جوهر متعلق بالبدن تعلق التدبير
والتصرف وبعضهم بانه جوهر مجرد عن المادة فى ذاته مقارن لها
فى فعله وهو النفس الناطقة التى يشير اليها كل واحد بقوله انا عند
اكثر الحكماء والمعتزلة وبعضهم بانه جوهر لطيف فى البدن
ينبعث شعاعه فيه كالسراج فى البيت ومحله الدماغ عند اكثر
الحكماء وبعض الفقهاء والقلب عند اكثر الفقهاء وبعض الحكماء
ونقل عن الشافعى وهو الصحيح قال الشارح وهو الذى يدل عليه
نص الشريعة قال تعالى ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور واما فساد
لفساد الدماغ فلا يدل على انه محله لجواز ان يكون سلامة الدماغ
شرطا فى اتصاف القلب به عادة (وهوى) مبتدأ وهو ميل النفس
الى الشهوة حلالا او حراما (متولى) اى معرض (عنه) اى عن ما امر به
من الطاعة وغيرها من المقامات او عن الهدى وهو مضاف الى المتولى او وضو

(هجى) خبر لمبتدا اى ذم من هجوته هجوا وهجاء وتهجيا وانقلبت
الواو ياء فى المبنى للمفعول لتطرفها وانكسار ما قبلها وفى
البيت التتميم فى هدى والمقابلة وهى ان تجمع امورا مختلفة
ثم تقابل بضد كل منها كما قابل المدح بالذم والاتيان بالتولى
والهدى بالهوى وكما فى قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا
والطباق (وكتاب الله) تعالى (رياضته) اى تعليمه وتاديبه بامره
ونهيه ووعده ووعيده ووعظه وضرب امثاله (لعقول الخلق
كائنة (بمندرج) اى بطريق واضحة يندرج فيها الصحيح ووضح
من درج القوم واندرجوا مضوا فى سبيلهم والمراد بدلائل
وضرب امثال وآيات لا قدح فيها ولا فى مقدماتها كالطريق
المسلوكة لامنها وانضاحها والرياضة من رضت الدابة
اى علمتها السير واضافتها الى ضمير الكتاب من الاسناد المجازى
كقولهم طريق سائر ونهر جار لان المعلم والمؤدب حقيقة هو الله
لكن بالفاظ الكتاب فكانها الرائضة لعقول الخلق ففى ذلك
تشبيه العقول بالدابة فى حاجة التعلم على طريق الاستعارة
بالكناية وطوى ذكر المشبه به واكتفى بملازمه وخص الكتاب بالذكر
لانه مرجع الادلة والآية الكبرى والنعمة العظمى فى بيان ما الا
تهتدى اليه العقول فى الاعتصام من الفتن لخبر انه ستكون فتن
كقطع الليل المظلم قيل فما النجاة منها يا رسول الله قال كتاب الله تعالى
فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم وهو فصل ليس
بالهزل من تركه تجبرا قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره اضله الله

المقابلة

وهو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم
هو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تشعب معه الآراء ولا تشبع منه
العلماء ولا تمله الاتقياء من علم سبق ومن عمل به اجر ومن حكم
به عدل ومن اعتصم به فقد هدي الى صراط مستقيم * وريا ضته
بدل اشتمال من المبتدا قبله او مبتدا ثان خبره بمندرج وهو مع
خبره خبر الاول واللام زائدة لتقوية العامل لضعفه بالفرعية
وتنوين مندرج للتكثير والتنويع (وخيار الخلق) وفي نسخة
الناس اي افضلهم (هداتهم) الى طريق الحق وهم العلماء العاملون
يقال هديته للطريق والطريق والى الطريق اي دللته عليه ويدل
لما قاله ادلة كثيرة كقوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة
واولوا العلم قائما بالقسط فبدا بنفسه وثنى بملائكته وثلث
باولي العلم دون غيرهم وناهيك به شرفا وقوله يرفع الله الذين
امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات قال ابن عباس لهم درجات
فوق المؤمنين سبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة
عام وقوله انما يخشى الله من عباده العلماء فحصر خشيته فيهم
واعظم به شرفا لان معرفته سبب خشيته وقوله صلى الله عليه وسلم
من سلك طريقا ينتغي فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة وان
الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع وان العالم
يستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء وفضل
العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وفي رواية كفضلي
على ادناكم وان العلماء ورثة الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما

مطلب في فضل العلماء

وانما ورثوا العلم فمن اخذه فقد اخذ بحظ وافر رواه ابو داود
والترمذي وغيرهما (وسواهم من هجم الهمج) لخبر الناس رجلان
عالم ومتعلم وسائر الناس همج لاخير فيهم رواه ابن ماجه بلفظ
العالم والمتعلم شريكان في الاجر ولا خير في سائر الناس والهمج
جمع همجة وهي الشاة المهزولة والذباب الصغير الذي يسقط
على وجوه الغنم والحمير شبه بذلك غير الهداة في قلة الهمة وخسة القدر
ثم بالغ في اضافتهم الى الهمج بان جعلهم من هجم الهمج على طريق التجريد
التشبيهي الذي هو ابلغ انواع التجريد تنبيها على ذم العلم الذي
لا ينفع صاحبه عند الله بان قصد به حظا او جاها دنيويا
فيا ثم لخبر اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه علمه.
رواه الطبراني والبيهقي وخبر لا يكون المرء عالما حتى يكون
بعلمه عاملا رواه ابن حبان والبيهقي موقوفا على ابي الدرداء
وفي البيت الجناس التام ورد العجز على الصدر والمقابلة وهي
ان يؤتى بمعنيين متوافقين او اكثر ثم يقابل ذلك على الترتيب
كما يقابل خيار الخلق بسواهم وهداتهم بهمج الهمج كما في قوله تعالى
فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا والتجريد وهو ان ينتزع من
متصف بصفة آخر مثله فيها لاجل المبالغة في كمالها فيه
مثاله في التشبيه لئن لقيت زيدا لتلقين منه بحرا او لتلقين
باسدا يعنون نفس زيد والناظم جرد غير الهداة من هجم الهمج
بعد التشبيه مبالغة في الذم ولما اشار الى خطر العلم والعمل فيمن
قصد بهما قصدا مذموما اشار الى عظم الامر بالجد فيهما والصبر عليهما

التجريد

ليسلم الآتى بهما من الخطر فقال (واذا كنت المقدام) اى كثير
الاقدام على العدو وبشجاعتك وال فيه للعهد العلمى على سبيل الله
اى الكامل فى الاقدام او للاستغراق المجازى اى الجامع لخصائص
جنس المقدام كقولنا انت الرجل علما (فلا تجزع) اى تضطرب
وفى نسخة فلا تلوى اى تعرض (فى الحرب) اى القتال (من اجل
الرهج) اى الغبار اى كن فى جدك ونشاطك قوى القلب بالله
نافذ العزم فيما لا تطلبه كالمقدام الذى لا يردّه عن مقصده ردّ
وان عظم واذا كنت كذلك فلا تجزع فى مجاهدتك الشيطان
والنفس ويخالفتهما الشبهة بالحرب من العوارض الشبيهة
بالرهج فى الدناءة كوسوسة النفس والشيطان وهوى النفس
لانهما يقولان لك ان كنت خلقت سعيدا لم يضرك ترك العلم
والعمل او شقيا لم ينفعاك وارفع هاتين الشبهتين بان
تقول انما انا عند الله ومن شأن العبد الامتثال للعبودية
والرب يحكم ما يشاء ويفعل ويختار ما يريد ولان العلم
والعمل ينفعانى كيف ما كنت لانى ان كنت سعيدا ازددت
بهما ثوابا او شقيا فلا لوم نفسى ولان الله لا يعافينى على
الطاعة بكل حال ولا تضرنى على انى ان دخلت النار وانا
مطيع احب الىّ من ان ادخلها وانا عاص فكيف ووعده حق
وقوله صدق وقد وعد على الطاعة بالثواب وبما تقرر ظهر
ان الحرب مستعار لمجاهدة الشيطان والنفس بجامع المشقة
وان الرهج مستعار للخواطر الواردة على القلب منهما بجامع الدناءة

وهذه الاستعارة مرشحة للاولى لان الرهج من لوازم المستعار
منه وهو القتال فتشبيه المجاهد بالحرب استعارة تصريحية
وانبات الرهج لها ترشيح وفي البيت الايغال (واذا ابصرت)
بعد تحدك في العلم والعمل واعراضك عن العوارض الدنيئة
(منار هدى) الى الطريق المستقيم (فاظهر فردا) اي فاعل منفردا
(فوق الشيح) بفتح الباء اي الوسط او المعظم من منار الهدى
لتصير من المختصين به المتمكنين منه والمنار مفعل من
النور وهو ما يحل فيه النور وهو ايضا العلم الذي ينصب
في الطريق للاهتداء به واستعار الابصار وهو رؤية العين
للعلم لان المحسوس اجلى من المعقول فشبهه به في الجلاء
واستعار بعد تشبيه الهدى بالنور والمنار للدليل الواضح
المفيد للعلم والعمل او للشيخ المفيد لذلك فقد قالوا من
لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه وقال الشيخ ابو مدين من لم
ياخذ ادبه من المتادبين افسد من يتبعه وقال ايضا
الشيخ من هذبك باخلاقه وادبك باطواقه وانار باطنك
باشراقه فتشبيه الهدى بالنور استعارة بالكناية واثبات
المنار له استعارة تخيلية واستعار الشيخ لاقوى واشرف
ادلة العلم واسباب العمل لان وسط كل شئ مخياره ومعظمه
اقواه وال فيه لتعريف العهد الخارجي لتقدم ما يستلزم
مصحوبا وهو منار هدى وفي البيت التتميم في فرد
او الاحتباك لتنوع محامله الصحيحة المعنى في اصل الكلام ومفرداته

(واذا اشتاقت نفس) اى مالت الى محبوبها ميلا تحترق به
الاحشاء بحيث لا تسكن باللقاء والتنوين للتكثير والتنويع
اى نفوس كثيرة صادقة فى المحبة راسخة فى المعرفة (وجد الما)
تنوينه للتكثير والتنويع ايضا (بالشوق) اى بسبب شوقها
(المعتلج) اى الشديد وال فى الشوق لتعريف العهد الخارجى
لتقدم ما يستلزم مصحوبها والاشتياق اعلى من الشوق
لانه لا يمكن باللقا كما مر بخلاف الشوق قال تاج العارفين
ابن عطاء الله والمحبة اعلى من الشوق ايضا لانه ينشأ عنها
ويؤخذ منه انها اعلى من الاشتياق ايضا وفى كل منهما وقفة
والوجه حمله على الطالب لذلك فاذا قصد الشوق فتحصيل
المحبة اعلى منه فى حقه لان الثمرة انما تكون عن متمم والاعتناء
بالمتمم قبل الثمرة اولى اما بعد حصولها فظاهر ان الشوق الى
كمعرفة الله مع النظر المحصل لها والمحبة تنشأ عن قوة العلم
بالمحبوب فمن قوى علمه بالله كانت محبته له اكمل ومن عرف
فضل العلم والعمل احبهما وهى لكونها ميل القلب الى الشئ تتحلى
فى حق الله تعالى بهذا المعنى فالمراد لازمه فمحبة الله تعالى لعبده عصمته
له وتوفيقه للقرب منه وثناؤه عليه وتفضله عليه بما يرفيه
وغايته كشف الحجب عن قلبه حتى يراه به فيكون اذ ذاك من
اجل الواصلين المقربين كما نبه عليه صلى الله عليه وسلم فيما حكاه عن ربه
من قوله فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى
يبصر به الحديث وسبب ذلك التجرد لله والانقطاع اليه

والاعراض عن غيره بصفاء القلب واخلاص الحركات والسكنات
ولا ريب ان هذه مرتبة ينشأ عنها الشوق الى لقائه وحب الموت
ووجد ما خوذ من وجد مطلوبه وجودا ظفر به بعد ان لم يكن
ظافرا به ومن وجد ضالته وجدانا بكسر الواو وظفر بها بعد
ذهابها عنه او من وجد وجدا حزن اى حزنت من الم الشوق
والاول هو المتبادر وفى البيت التتميم والايغال والاتساع
والتعطف وشبه الجناس (وثنايا) المراة (الحسنا) بالفتح
والقصر للوزن وبالضم مؤنث احسن ككبرى واكبر وهى اربع
ثنتان من اعلى وثنتان من اسفل (ضحكة) صاحبتها (وتمام
الضحك) منها بكسر الضاد واسكان الحاء لغة فى الضحك بفتح
الضاد مع كسر الحاء واسكانها وكسرها كاثر (على الفلج) منها
بفتح اللام من فلج بكسرها وهو تباعد منابت الاسنان وحسن
فيها اى وادلة العلم واسباب العمل واضحة حسنة لا لبس فيها يخاف
منه الهلاك والوقوع فى الضلال وانما يخاف مما يعرض لذلك
من جهة الشيطان والنفس وتمام وضوحها لوضوح اصلها لانه وضع
من لا ينطق عن الهوى فشبه دلائل العلم واسباب العمل بثنايا
امراة حسنا اوكنى بكل من الثنايا والفلج عن المراة من الحور
العين وبالضحك عن الرضا والسرور اى الحور راضية مسرورة
بزوجها المجد فى العلم والعمل لا تبغى به بدلا وان كان غير
اجل منه واحسن وتمام رضاها وسرورها مع حسن ذاتها
الحسنا السليمة من كل نقص لم تتكلفه لا فرق تخاف على نفسها

الاحراس

ان يرغب زوجها عنها من نقص ذاتها وسوء خلقها ونحوهما
وعلى التعليل او للمصاحبة او للاستعانة والجملة الاخيرة
معطوفة على التي قبلها او حال من ضمير ضاحكة وفي البيت
الاتباع والتعطف وشبه الجناس والتكميل والاحتراس
في العجز وهو ان يؤتى في كلام يوهم بخلاف المراد فيما يدفع الايهام
ومنه قوله تعالى اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير
سوء فاحترس بقوله من غير سوء عن امكان ان يدخل في البياض
البرص والبهق (وعياب) جمع عيبة وهو وعاء من جلد تصان
فيه الامتعة كالثياب ويطلق مجازا على من هو محل سر
من رجل او امرأة ومنه الانصاري عيبتي (الاسرار) جمع سر
وهو ما يكتم وفي نسخة وعياب السر قد (اجتمعت) اي عياب
الاسرار (بامانتها) اي عليها او معها والامانة ضد الخيانة
والمراد ما تؤمن عليه (تحت السرج) بفتح السين والراء اي عرى
العياب واراد بالاسرار اسرار الله تعالى في خلقه مما حجبهم عنه
ولم يطلع عليه احدا الا من شاء ممن اصطفاه فشبه حجب الاسرار
الغيبية في منعه الخلق عنها الا من يتر له بعيبة مملوءة فشد
بعراها شدا وثيقا حتى لا يخرج منها شئ ولا يطلع على ما فيها
الا من اذن له في حل عراها فيصل الى ما فيها من الامانات والاسر
قال بعض العارفين العلم بمنزلة البحر اجرى منه وادينم من الوادي
نهرين من النهر جدولين من الجدول ساقية فلو جرى البحر الى النهر
او الوادي الى الجدول لغرقه وافسده وهو المراد بقوله تعالى

انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فحور العلم عند الله
اعطى الرسل منها اودية ثم اعطت الرسل من اوديتها العلماء
انهارا ثم اعطت العلماء من انهارها العامة جداول بقدر
طاقتهم والمناسب ان يقيدها بالعامة المتفقهة ويقال ثم
اعطت المتفقهة من جداولها غير المتفقهة سواقي وسبب
ذلك ان العقول الضعيفة لا تحتمل الاسرار القوية كما لا
يبصر الخفاش نور الشمس ومما اخفاه الله تعالى عن خلقه رضاه
عنهم فهو وان كان في الطاعة لكن الطاعة التي يعلم العبد
ان الله يرضى عنه بفعلها وحدها غيب لا يعلمها الا من اطلعه الله عليه
لئلا يحتقر المكلف منها شيئا وكذا غضبه عليهم مخفي في
معصيته كذلك وكذا ولاية الله مخفية في خلقه قال
ابن عطاء الله اولياء الله قليل من يعرفهم قال وسمعت الشيخ
ابا العباس المرسي يقول معرفة الولي اصعب من معرفة الله تعالى
فانه تعالى معروف بجماله وكماله ومتى تعرف مخلوقا مثلك يأكل
كما تاكل ويشرب كما تشرب قال واذا اراد الله ان يعرفك بولي
طوى عنك وجود بشريته واشهدك وجود خصوصيته اهـ
فوجود البشرية كالعينة المشرجة على امانتها وهي وجود الخصوصية
المستورة بها وحكمة هذا الاخفاء حسن الظن بين الخلق
وهو من اجل القربات والمقصود بهذا البيت ان ما اخفي
عن العالم الراسخ والعارف انما كاشف كثير مما عرفه لان كل احد
انما يعلم ما فتح الله به عليه والله تعالى يقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا

ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله ولا يحيطون
بشئ من علمه الا بما شاء فاذا ارتضى الله عبدا من خلقه اطلعه
على بعض تلك الاسرار الغيبية اللدنية كما قال في حق الخضر
عليه السلام وعلمناه من لدنا علما وفي البيت لا يعدل والرفق
وهو التوسط واللطافة في الامر والفعل من الاول رفق
بالفتح ومن الثاني بالفتح والضم (يدوم) به العمل (لصاحبه
والخرق) بفتح الخاء مصدر خرق بضم الراء ويقال بكسرها ضد
الرفق وبضم الخاء اسم الحاصل بالفعل (يصير الى الهرج)
باسكان الراء الفتنة وكثرة الفساد وبفتحها تحير البصير
لكنه على الاول فتحها ايضا للوزن وهو بالمعنيين كناية
عن انقطاع الفعل لان الفتنة والتحير لا يدوم معهما فعل
اى من سلك في كل امر من المطالب العلمية والعملية بالرفق
مع الناس في تحصيلها ولم يجهد نفسه دامت له فاستفاد
وافاد وهدى واهتدى ومن كلف نفسه فوق طاقتها وعامل
الناس بصلابة الجانب لم تدم له لجهله فضل واضل وما ذكره
في البيت رواه ابن حبان في صحيحه بلفظ ما كان الرفق في شئ
قط الا زانه وما كان الخرق وفي رواية الفحش في شئ قط الا
شانه وان الله رفيق يحب الرفق وروى البخاري ان الله يحب الرفق
في الامر كله وخبر ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا
فسدوا وقاربوا وبشروا وفي البيت المقابلة والعقد وهو
ان ينظم نثرا او نظما قرآنا او حديثا او مثلا او غيره على وجه الاغتباط

العقد

والفرق بينهما ان الاقتباس نظم قرآن او حديث خاصة بلفظه
او بتغيير يسير ولا ينبه على انه منهما كما مر بخلاف العقد ففي جميع
ذلك وبراعة الختام وهي سهولة اللفظ وحسن السبك بحيث
يرتسم في النفس ويتلقاه السمع ويستلذه ويجبر ما وقع فيما
فيما سبق من التقصير ان كان ولا يبان هذا البيت كذلك
وهو اجود بيت يحسن التكوت عليه بل على كل مصراع منه
لتضمنه ما ورد في الخبر كما عرفت * ولما فرغ من التنبيه على
التصفية القلبية والتزكية النفسية وعلى المقامات العلية
والحكم النبوية ختم ذلك بالدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم الواضع
لتلك المسالك ولاصحابه الاربعة الخلفاء الحافظين طريقه
الكاشفين لما اشكل من ذلك رضي الله تعالى عنهم وعن سائر
الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فقال (صلوات الله)
تعالى جمع الصلاة باعتبار انواعها وهي من الله تعالى رحمة ومن
الملئكة استغفار ومن الآدميين تضرع ودعاء كاثنة (على)
النبي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف
ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن
مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر
ابن نزار بن معد بن عدنان (المهدي) بفتح الميم اي الرشيد
الموفق بخلق الهدى فيه لوجوب عصمته (الهادي) اي المرشد
(الناس) من الانس والجن بالنصب بالمفعولية وبالجر
بالاضافة (الى النهج) بفتح الهاء لغة في اسكانها اي الطريق المستقيم

براعة الختام ٥

قال تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم اى الدين الشبيه
فى وضوحه وامنه بالطريق الواضح فاستعير النهج فى النظم
والصراط فى الآية لما اتى به النبى الاكرم صلى الله تعالى عليه وسلم من
الدين المستقيم والجملة خبرية لفظا انشائية معنى عدل عنها
اليها للمبالغة فى وقوع الصلاة فكانها ثابتة اخبر عنها بالحصول
وكان حقه ذكر السلام ايضا لانه يكرم افراد الصلاة عنه
وبالعكس ولعله ذكره لفظا وفى البيت شبه الازدواج
وشبه الجناس والتتميم والايغال وتذييج الاشتراك وهو
اشتراك المضارعين فى كلمة واحدة وهى هنا المهدى لان
آخر الاول منها الياء المدغمة واول الثانى المدغم فيها (و)
على الامام (ابى بكر) وهو افضل الصحابة واسمه عبد الله
ابن ابى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم
ابن مرة القرشى التيمى يلتقى مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فى مرة ويقال له عتيق لعتاقة وجهه اى جماله وقيل لانه
صلى الله عليه وسلم قال فيه من سره ان ينظر الى عتيق من النار فلينظر
الى هذا وصديق لمبادرته الى تصديق النبى الاكرم صلى الله تعالى
عليه وسلم فى جميع ما جاء به فهو صادق (فى سيرته) اى طريقته
التى منها مبادرته للاسلام مع وجاهته ورياسته ومنها
انفاقه ما اسلم عليه من ماله وهو اربعون الفا فى سبيل الله
وعلى نبيه صلى الله عليه وسلم واعتاقه سبعة ممن كان يعذب فى ذات الله
كبلال وعامر بن فهيرة (و) فى (لمشامقالته اللجج) بكسر الهاء

اى المثابر على الصدق من لهج به يلهج لهجا مثل فرح يفرح فرحا اى ولع
قول لسانه فالفم صفة اللسان ويجوز ان يكون صفة لابى بكر
رضى الله عنه وبالغ فيما قاله فجعل لسانه قوله ظرفا للصدق فلا
يتحرك الا به كما ان سيرته ظرف للصدق فاستوى ظاهره
وباطنه لان الافعال والاقوال دلائل السرائر وذلك
غاية الكمال وفى هنا وفى مما يأتى للظرفية او للسببية او للمصاحبة
وفى البيت التكميل (و) على الامام (ابى حفص) عمر بن الخطاب
ابن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح
ابن عدى بن كعب القرشى العدوى يلتقى مع النبى الاكرم
صلى الله عليه وسلم فى كعب (وكرامته) اى المعروفة الظاهرة اذ له
كرامات اخر وفى نسخة وفراسته (فى قصة سارية) بن حصن
او الحصين او زنيم الديلمى من انه كان يوم الجمعة يخطب بالمدينة
فرأى العسكر بنهاوند وجعل يصيح يا سارية الجبل الجبل
فصعد سارية وجند الجبل وقاتلوا الكفار وهزموهم
وكتبوا بذلك الى عمر وجاء البشير حثاثا الى عمر بعد شهر
واضاف سارية الى (الخلج) بضم الخاء واللام قوم من العرب
من عدوان فالحقهم عمر بن الخطاب بالحارث بن مالك بن النضر
ابن كنانة وسموا بذلك لانهم اصلحوا من عدوان وبفتحهما
وهو ان يشتكى الرجل عظامه من عمل او طول مشى وتعب وبفتح
الخاء وكسر اللام المشتكى من ذلك تنبيها على عظم الامر وشدة
الكرب كقولهم فى جد النبى الاكرم صلى الله تعالى عليه وسلم شيبة الحمد

لكثرة حمد الناس له في الامور وقولهم في طلحة الصحابي طلحة الخير
لكثرة خيره ويجوز جعله نعتا لسارية وان كان مصدرا
بتقدير فتح اللام لان المصدر ينعت به على المبالغة او لتأويله
بالوصف والكرامة امر خارق للعادة غير مقارن لدعوى
النبوة ممنه وفيها تثبيت له ولهذا ربما وجدها اهل البدايات
في بدايتهم وفقدها اهل النهايات في نهايتهم لان ما هم عليه
من الرسوخ والتمكن لا يحتاجون بعد الى تثبيت ولذلك قل
ظهورها على يد السلف الصالحين والتابعين واعلم ان الامر
الخارق للعادة بالنسبة الى النبي معجزة سواء ظهر من قبله
او من قبل آحاد امته وبالنسبة الى الولي كرامة لخلوه عن
دعوى نبوة من ظهر ذلك من قبله وبالنسبة الى غيرهما
خذلان واستدراج والنبي لا بد من علمه بانه نبي ومن قصده
اظهار الخوارق ومن حكمه قطعا بموجب المعجزات بخلاف
الولي وصاحب الكرامة لا يستأنس بها بل يشتد خوفه
مخافة ان يكون ذلك استدراجا والمستدرج يستأنس
بما ظهر عليه وعند ذلك يستحقر غيره وينكر عليه ويحصل له
الامن من مكر الله وعقابه فاذا ظهر شيء من هذه الاحوال
على من ظهر عليه ذلك دل على انه استدراج لا كرامة ولذلك
قال المحققون اكثر ما اتفق من الانقطاع عن حضرة الرب
انما وقع في مقامات الكرامات ولذلك كانوا يخافون منها
كما يخافون من اشد البلاء وفي البيت التلميح من لمحة

اذا نظره وهو ان يشير فى الكلام الى قصة او شعر او مثل
سائر من غير ان يبين واحدا منها فيه كما اشار الى قصة
سارية ولم يبينها (و) على الامام (ابى عمر) ويقال ابو عبد الله
وابو ليلى عثمان بن عفان بن ابى العاص بن امية بن عبد
شمس بن عبد مناف بن قصى القرشى الاموى *
يلتقى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف (ذى
النورين) لانه تزوج بنتى النبى صلى الله عليه وسلم رقية
ثم ام كلثوم وبعد موتها قال له النبى صلى الله عليه وسلم
لو كان لى غيرها لزوجتكها (المستحى المستحيى) بكسر
باء احدهما وفتح ياء الآخر لان النبى صلى الله عليه وسلم كان
جالسا بحافة بئر وهو مكشوف الفخذ فدخل ابو بكر
فسلم فلم يغط فخذه ودخل عمر فلم يغطه ودخل عثمان
فغطاه وقال الا استحى ممن استحيت منه الملائكة
رواه البخارى وغيره وروى انه صلى الله عليه وسلم قال
عثمان احيا امتى واكرمها وفى نسخة المسهد المستحى
وفى اخرى المستحى المحيى بكسر باء الاول او فتحه وفتح ياء
الثانى اشارة الى انه شهيد فهو حى بنص القرآن (البهج)
بالموحدة اى حسن الخلق والخلق قال ابن عبد البر
كان جميلا طويل اللحية حسن الوجه رقيق البشرة عظيم
اللحية اسمر اللون كان يصفر لحيته ويشد اسنانه بالذهب
وفى نسخة النهج بالنون من نهج الطريق اذا وضح او من

نهج وانهج اذا بلى او من نهجت الطريق وانهجته اى اوضحته
فيكون على الاول اشارة الى اشتهار فضل عثمان ووضوحه
كوضوح الطريق المسلوكة وعلى الثانى اشارة الى ما اصيب
به فى ذات الله تعالى من انتهاك حرمته لان بلاء الثواب
انما يكون غالبا بقلة المبالاة فى استعماله وعلى الثالث
اشارة الى ايضاحه طريق الاسلام بتميز القرآن
عن غيره وجمعه له فى المصاحف وتوجيهها لائمة
المسلمين وفى البيت الجناس المحرف (و) على الامام
(ابى حسن) على بن ابى طالب كرم الله وجهه واسمه
عبد مناف بن عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم
ويقال له شيبة الحمد كما مر بن هاشم بن عبد مناف بن
قصى القرشى الهاشمى يفزع اليه (فى العلم اذا وافى
بسحابه) جمع سحابة وهى الغيم كما مر (الخلج) بضم الخاء
واللام جمع خلوج بفتح الخاء السحاب المتفرق ويقال
السحابة المنفردة الكثيرة الماء استعار لانواع علومه
السحائب ورشح هذه الاستعارة مبالغة خلج اى
يفزع اليه فى مشكلات العلم لتعليمه اياه اذ حصل
بعلومه الكثيرة النفع للناس فى كل فن وكل ناحية
كالسحائب المتفرقة النافعة بمائها وقام الاجماع
على غزارة علمه وما احتج به من خبر انا دار الحكمة
وفى رواية انا مدينة العلم وعلى بابها *

قال الترمذي انه منكر والنووي انه باطل ومن كلماته
العزّ في سبع كلمات ثلاث في المناجات وهي كفاني فخرًا
ان تكون لي ربًّا وكفاني عزًّا ان اكون لك عبدًا وانت
كما احب فاجعلني كما تحب * وثلاث في الحكمة وهي قيمة
كل امرئ ما يحسنه وما هلك امرؤ عرف قدر نفسه
والمرء مخبوء تحت لسانه * وثلاث في الادب وهي
استغن عن من شئت فانت نظيره وتفضل على من شئت
فانت اميره واضرع لمن شئت فانت اسيره * فهذه
فوائد كلمات يستدل بها على ما لم نذكره وباء بسحائبه
للمصاحبة مثلها في جاء زيد بعلمه وثيابه اي ملابسًا
سحائبه وفضائل الائمة الاربعة كثيرة مذكورة
في محلها وانما اقتصرنا على ما ذكر لكون الناظم اشار
اليه وفي البيت التتميم والايغال وفي نسخة
بدل الخلع الثلج وبعده و

وصحابته وقرابته * وفقات الامر على نهج
واذا بك ضاق الذرع فقل * استدع ازمة تنفرج

وفي نسخة اخرى بدل هذين البيتين خمسة ابيات وهي

وهدى بضياء الذكر ودك * القوم على اسنى نهج
وعلى اتباعهم العلما * بعوارف دينهم الثلج
وعلى السبطين وامهما * وجميع الآل بهم ثلج
وعلى الاصحاب بجملتهم * بذلوا الاموال مع المهج

يارب بهم وبآلهم * عجل بالنصر وبالفرج
وأنا اسأل الله تعالى أن يمن علي وعلى جميع أحبائي بتوبة
صادقة ونعمة صافية وعافية وافية * قال
مؤلفه رحمه الله تعالى تم الشرح بحمد الله تعالى وعونه
في حادي عشر ذي الحجة الحرام سنة ١٢٨١ ثمانمائة وواحد
وثمانين والصلاة والسلام على اشرف خلقه محمد
وآله وصحبه كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره
الغافلون ورضي الله عن اصحاب رسول الله اجمعين
وتابعيهم باحسان الى يوم الدين *

يعون محبي الطلاب * المنير بطبع هذا الكتاب * بمطبعة الاستاذ القدوة
الملاذ * الشيخ محمد يحيى شيخ الطريقة السعدية * بثغر الاسكندرية *
احيا الله ذكره * ودام شكره * بنفقة كل من حضرة اسمى
الكتاب حضرة محمد افندي فتح الباب * وحضرة اسنى منهل
عذب للوارد * مصطفى افندي راشد * لازالت
اخلاقهما على فعل الجميل مطبوعة * والوية
نشر العلوم بكفهما مرفوعة * وذلك
في الخامس والعشرين من شهر جمادي الاول
سنة ١٢٨٨ من هجرة سيد المرسلين *
صلى الله وسلم عليه وعلى آله
والآل * اهل السيادة
والفخار والكمال *
آمين *